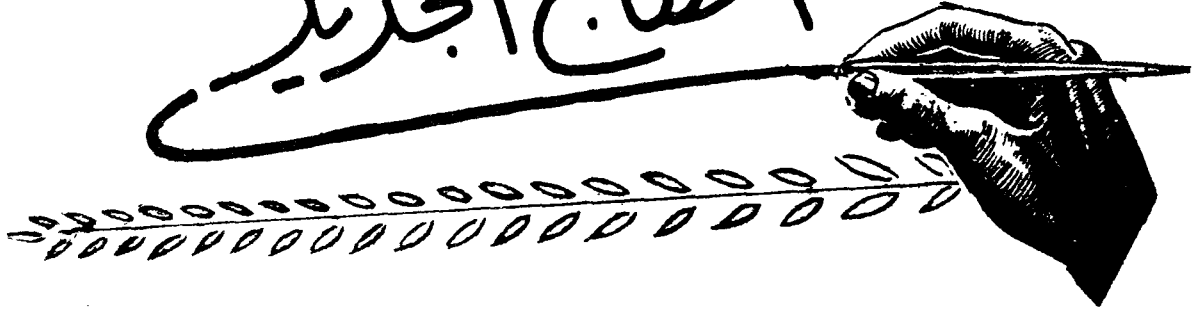


النتائج الجديدة



أزمة الجنس في القصة العربية

تأليف غالي شكري
منشورات دار الآداب - بيروت

الادبية التي تتناول الجنس . ويبدو ايضا من كلماته عن المنهج الواقعي - رغم ان منهج غالي يتعاطف تماما مع هذا الاتجاه - فهو يشجب ما وقع فيه هذا المنهج من اخطاء ، وذلك في الفصل الخاص بدراسة الجنس عند بوسف ادريس :

« ولقد اسهم تطور الاحداث الاجتماعية في المنطقة العربية في تكوين تيار نقدي تخصصي تماما في صياغة الاتجاه الواقعي .. » . (لقد خلت دراسات ذلك التيار من البحث عن جذور الواقعية في الادب العربي، حتى يصبح توجيه الادياء والفنانين نحو الاتجاه الواقعي ، نابعا من تاريخهم ، ونابضا بترائهم ، فلا يقال - ما قيل بالفعل - ان التيار (نظرية مستوردة) لا تتفق مع واقعنا ... » (ص ٢٤٢) .

ان الناقد لا يطلب من الفنان الا ان يكون مخلصا في عمله ، وان يرى الاشياء رؤيا صادقة ، انه لا يطلب شيئا « يعلو كثيرا فوق الاتجاه الفكري او المنهج الايديولوجي .. هو الصديق الفني ، العامل الحاسم في قيمة العمل الادبي » (ص ١٤٤) .

ويبدو من هذه السطور ان الكاتب يسير في طريقه الذي اختساره بحذر شديد ، وانه مدرك تماما ما يمكن ان يترى فيه مذهبي من اخطاء، وانه يتجنب هذه الاخطاء بذكاء شديد . ولكنني مع ذلك أحس ان المنهج الذي اتبعه غالي شكري جعله يأخذ مواقف غير مبررة تبرا كافييا في بعض الاحيان .. ويظهر هذا الى حد كبير في موقفه من مركب اوديب . لا شك ان فكرة مركب اوديب فكرة غير مستقرة بشكل حاسم ، وتقابل نقدا مرا من علماء النفس والاجتماع (اذا ما تجاهلنا النقد السطحي الانفعالي للاخلاقين ورجال الدين) والاعتراضات التي وجهها كلين والكنسندر ورائك وماليوفسكي وهيلين دريتس .. الخ . اعتراضات على قدر كبير من الاهمية ، وتهز الفكرة هزا عنيقا . ولكن معظم هؤلاء العلماء يتفقون في نقط ما مع فرويد في فهمه المبني لمركب اوديب، او بجزون عن وضع مفهوم اخر مقابل اكثر تبريرا من مفهوم فرويد .

ورغم ما يوجه الى تفاصيل فكرة مركب اوديب ، فلا شك انها تثير عيدا من الاساطير القديمة ليست اسطورة اوديب الا واحدة منها . وغالي شكري عندما يرفض مركب اوديب فهو لا يرفضه على اساس مناقشة متقصية بل يرفضه على اساس مناقضته للمنهج الذي يسير عليه، وهو منهج تجريبي يرفض الافتراضات العلمية التي لم تثبت التجربة صحتها . والناقد يضع تفسيرا جديدا للاسطورة - دون ان يشجب النظرة الفرويدية شجيا متمكنا - وهو يقول ان مأساة اوديب هي أزمة البطولة الفردية التي عاناها المجتمع اليوناني في ظل العبودية . وينكر ان الاسطورة لها أي اساس جنسي . واعتقد ان هذا التفسير الذي أتى به الناقد ليس مضادا للمفهوم الفرويدي بل انوهم انه من الممكن ان يسير معه في خط متواز لكي يفسر معه الاسطورة في النهاية . والحق ان للاسطورة اكثر من وجه : الانسان الذي يش تحت قدره ، الانسان الذي يحل للفر ويقتل المجهول ، الابن الذي يتزوج امه جاهلا ، وعندما يكتشف هذه الحقيقة يفتق عينيه ويصحب ابنته (أو اخته !) في رحلة شبه صوفية .

الاتجاه المحدد لدى ناقد ما يعد له بقدر ما يعد عليه في بعض الاحيان . فمعنى التزام الناقد بمنهج واضح انه ينظر الى العالم من خلال زاوية محددة الاطار ، ونستطيع ان نستقريء من مجموعة كتاباته في النهاية افكارا عامة تكون فلسفته الجمالية . ولكن قد يفرق هذا الاتجاه الواضح في بشر المذهبية ، فيصبح لدى الناقد كسرير «بروكست» الذي حكوا عنه .. يضع عليه قصار القامة ، فيطيلهم حتى يمزقهم ، ويضع عليه طوال القامة ، فيقطع اقدامهم ورؤوسهم حتى يساواوا السريير . وتكون لدى الناقد عندئذ افكار مسيقة عن الاعمال التي يتناولها او الافكار التي يتعرض لها . والمنهج يجب ألا يتعدى دوره تنظيم الافكار العمامة وتبيان الرؤيا الجمالية التي يراها الناقد لقضية الفن . والناقد مطالب بان يعاني في قراءة ودراسة كل عمل وكل فكرة معاناة من لا منهج لديه، وان ينظر الى ما بين يديه - من اعمال وافكار - من جميع الزوايا، فقد يعطيه منهج اخر رؤيا اكثر وضوحا .

وفي الدراسة الذكية العميقة التي قام بها غالي شكري عن «أزمة الجنس في القصة العربية» يلتزم الناقد بمنهج ملموس . ولا نريد ان نضع لهذا المنهج اسما ، فنقول ان منهجه هو المنهج العلمي او النقد الواقعي ، بل لا نريد ان نلتقط تعبيره هو نفسه ، عندما يلج الى انه ينظر الى العالم تلك « النظرة الموضوعية » . ففي مناقشته لادب مورافيا يضع أسسا يوضح بها مفهوم « اصحاب النظرة الموضوعية في الفن » . ويمكننا ان نقول ان هذا الرأي هو الزاوية التي ينظر منها غالي شكري الى الفن . فهو يقول :

« لا يمكن القول بان أديبا ما أجاد البناء الفني على حساب المحتوى الانساني ، كما انه لا يمكن ان نقول بعكس هذا الكلام ، فالبناء ومحتواه يشكلان وحدة متكاملة ... » « انه من السذاجة أن يطلب الناقد من العمل الفني بحثا اجتماعيا حتى ترتبط النماذج وانفعالاتها ومشاعرها، بعد ان تجسدت فيها (الجذور الاجتماعية) دون ان نراها . وفي حدود هذا المعنى فقط يكتسب العمل الادبي معنى الفن » (ص ٦٤) .

ومن الواضح ان هذه الاسس التي ذكرها غالي شكري هي نفسها التي بنى عليها الناقد نظريته الجمالية .. الاهتمام بالشكل والمحتوى معا .. وفهم المحتوى فهما جديدا بالنسبة لاصحاب « النظرة الموضوعية » وهو رفعه الى المستوى الانساني .

وفي الحقيقة استطاع الناقد ان يضع منهجه في مكان غير مسيطر على تفكيره وهو يدرس اغلب الاعمال التي تناولها . ولا شك انه كان على وعي كامل بما يمكن ان يصنعه به التزام اتجاه نقدي التزاما مذهبيا . ويبدو هذا الوعي من الطريقة التي تناول بها قضية الجنس والاعمال

ميثولوجيا الامم المختلفة نستطيع ان نجد افكارا كثيرة متشابهة ذلك التشابه الذي يدفع كثيرا من المؤرخين والنقاد الى ارجاعه الى النقل والناتج .

وموقف غالبي شكري من مركب اوديب ومن المنهج الفرويدية بشكل عام هو الذي جعله يفتت على رواية نجيب محفوظ « السراب » . وهي قصة شاب نشأ في احضان امه التي كانت تطلق عليه ابواب بيتها واحضانها ، حتى نما جاهلا بالحياة غير قادر على مواجهة الواقع . وينزوج فتاة جميلة لكنه يكتشف انه عاجز عن فعل الجنس معها . ولكن كامل رؤيلا يستطيع ان يمارس الجنس مع ارملة اكير سنا واقل جمالا ، تعيد اليه احساسه بذاته وكرامته . وواضح من قراءة القصة ان نجيب محفوظ كتبها وهو متأثر بفرويد ، ومحاولة فهم القصة بعيدا عن دائرة فرويد لا شك تجعلنا نحس ان الرواية عمل غير هام ، وربما قلنا مع الناقد : « ان الهيكل الروائي كان توبا ففضافا لفكرة متناهيصة الصغر » !! (ص ٨٢) . ولكن في الحقيقة تعتبر الرواية عملا فنيا متكاملما ذا طابع سيكولوجي . ولا يقلل من قيمتها كونها غير مرتبطة بفترة تاريخية محددة ، او انها لا تدخل تحت الاطار التقليدي لنجيب محفوظ منذ « خان الخليلي » حتى نهاية الثلاثية « السكرية » . ويبدو من غمزات غالبي انه يأخذ على الرواية انها لا تأخذ الطابع السوسولوجي عند نجيب الذي يحتضن انتاجه في مرحلته المحلية (خان الخليلي - زقاق المدق - قصر الشوق - بين القصرين - السكرية) . ولكننا نعتقد ان اروع اعمال نجيب جاءت بعد هذه المرحلة في محاولته استشراف افاق اوسع (اللص والكلاب - اولاد حارتنا - السمان والخريف) .

ولو استطاع غالبي شكري ان يستعين اكثر بعلم النفس لما تجاهل - في مقدمته - اعمال كاتب ممتاز مثل تينسي وليامز يعتبر الجنس بالنسبة له معنى خطيرا ممتزجا بواقع وازمة المجتمع الاميركي . ويقابل بين انهيار المجتمع الاميركي وبين العجز الجنسي والانحراف . في حين ان الناقد اهتم بكاتبة سطحية هي فرنسواز ساغان في حين انها في

وكل جانب من هذه الجوانب يعطينا تفسيرا للاسطورة . والنقد الكلاسيكي توقف عند مأساة اوديب امام قدره . والفرويديون توقفوا عند زواج اوديب من امه . اما غالبي شكري فهو مأخوذ بصراع اوديب ضد ابي الهول . ولا يقف عند هذا الحد بل يرفض التفسير الفرويدي تماما . وهو يرفضه على اساس ان اوديب لم يكن يعرف ان جوكاسته هي امه . ومن الواضح ان هذا الجهل من جانب اوديب يقابل في النظرية اللاوعي عند الانسان . فالتعلق بالام ينسرب الى اللاوعي بعد السنوات الاولى من عمر الطفل ، الا اذا ما استمر بعد ذلك في حالة تثبيت Fixation

ويعطينا الناقد سؤالا نستعمله ضده ، وهو الى أي حد كانت ستصبح المسرحية عملا تراجيديا ممتازا ، اذا ما كانت جوكاسته ليست ام اوديب؟ اننا نلتقط هذا السؤال منه ، ونعتبر الاجابة عليه ضد فكرته لا معها ، لان هذا الافتراض يسلب المسرحية الفكرة الرئيسية التي تتبلور المأساة حولها .

واذا ما تأملنا الاساطير التي اوردها الكاتب نفسه ليناقد فيها مفهومه في الجنس ، ولبدحض في دراسته لبعضها مركب اوديب ، لوجدنا ما يؤكد ان فكرة هذا المركب موجودة في الاساطير . وان المشكلة في حاجة الى دراسة اعمق والى مناقشة اكثر . ونحن نجد مركب اوديب بغير عناء في الاساطير التي اوردها في دراسته . . . قصة « الاخوين » الفرعونية هي صورة اخرى لمركب اوديب . . المرأة التي تراود اخا زوجها الاصغر عن نفسه ، ولكنه يرفض لانه يرى فيها امه . اسطورة جودر (من اساطير الف ليلة) الذي ذهب لفتح كنز الشمردل ، وفي النهاية وجد صورة امه ، فطلب منها - حسب نصيحة المغربي - ان تخلع ملابسها وتبقى عارية ، وعندما يحدث هذا - ويتخطى بشاعة التجربة - تتلانى . والناقد يقول : « لو ان جودر كان مصابا بعقدة فرويد لما اهتم بممانعة امه في كثير او قليل » (ص ٢١) . ونتفاضى عن تلك الغمزة « عقدة فرويد » لكي نقول ان كونه مانع امه لا ينفي وجود المركب نفسه ، ولكن الاحساس الاجتماعي الذي صاحب خلق الاسطورة وضع عملية الممانعة كتأثير للرقيب الاعلى . . وهو نفس الاحساس الذي جعل من اوديب جاهلا بان الملكة التي تزوجها هي امه . وحكاية لوط (من قصص التوراة) الذي اسكرته ابنتاه وضاجعتاه . . والسكر عند لوط يقابل مقابلة واضحة للجهل عند اوديب .

ان خالقي الاسطورة - نتيجة للحس الاجتماعي الرافض للاتصال بالحارم - يجعلون ابطالهم من هذا الاتصال المحرم ، واذا ما تم فانما يتم عن طريق الجهل او السكر . ولكن تناول الموضوع اصلا - وهم الذين يعبرون عن اكثر الاشكال الادبية عفوية - يعني ادراكهم الطبيعي لما في نفوس البشر من احساس يبلغ في بعض الاحيان درجة كبيرة من العمق والغموض .

وهناك اسطورة اخرى من ادبنا الشعبي لم يذكرها غالبي شكري ، وتعود الى حد بعيد عن مركب اوديب ، وهي اسطورة الملك سيف بن ذي يزن ، الذي جاءته وهو يحاصر مدينة الحمراء امرأة قالت انها ملكة المدينة ، وطلبته منه ان يصارعها ، ومن غلب ملك المدينة . وتبدأ في خلع ملابسها فيفتتن بها سيف ، ويبدأ هو ايضا في خلع ملابسه ، ولكن بمجرد ان ينتهي من ذلك تصرخ الملكة « قمرية » قائلة ان سيف هو ابنها الضائع منذ سنوات طويلة بعد ان رأت القلادة في عنقه والشامة على خده .

ولا شك ان مركبات اوديب او الكترا او سندريلا او غيرها من المركبات التي شرحها فرويد وغيره من علماء النفس ، تلقى بشكل ما مع الاساطير . لان هذه الاساطير كانت تعبيرا عفويا عن مشاعر البشر . ونتيجة لان المؤلف اخذ موقفا من التفسير السيكولوجي ، فقد قال : « ولقد ادهشني حقا هذا اللقاء الغريب بين عدة اساطير من شعوب مختلفة حيث نرى ان الجوهر الانساني في جميعها واحد » (ص ١٨) . ولو كان المؤلف قد نظر الى هذه الاساطير على اساس انها تعبير عفوي عن غرائز الانسان ، لما ادهشه ذلك البتة ، لان الغرائز تشابه في كل مكان ، وتعبير عن نفسها بشكل اكثر وضوحا في الفنون البدائية . وبمقارنة

في الاسواق

تأملات وجودية

بقلم الدكتور
زكريا ابراهيم

■ لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل

■ خواطر ويوميات تشتمل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .

■ مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلقة الجفاف الاكاديمي .

■ كتاب هام يعرض قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير العربية

مشهورات دار الاداب

الثن ٢٥٠ ق.ل

رأيه : « لم تكتب (روايات جنسية) بالمعنى الفني الدقيق » (ص ٦١) .
وفي مجال الأدب العربي يتجاهل محمد عبد الحليم عبد الله . ورغم أننا نقول مع غالي أن مهمته لم تكن « فرش » كل الإنتاج العربي في مجال الجنس ، ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل اتجاهها هاما يمثل عبد الحليم عبد الله رغم فحاجة رواياته . هذا الاتجاه هو رؤية الجنس كمحل مرتبط بالشر ، والتعامل الواضح على المرأة ، ورؤيتها كخاطنة دائمة ، وبالتالي تشويه صورة الام (في كثير من الأحيان يهرب بوضع صورة زوجة الاب مكان الام !) . ولا شك أن هناك تشابها بين اتجاه عبد الحليم عبد الله وعبد الحميدجوده السحار الذي كتب عنه غالي فصلا تحت عنوان « العرب فوق جسر الشيطان » . ولكن الاتجاه عند عبد الحليم عبد الله يختلط بكيانه ، ويمثل في كثير من الأحيان معاناة حقيقية ، ويعتس قلب وعقل الكاتب . في حين أن السحار يستعمل عقله فقط في نسج أحداث وصور تصل إلى نتيجة وعظيمة .

ونذكر عملا آخر على جانب من الأهمية - ونحن ما زلنا على اتفاق مع غالي أن من حقه تجاهل كثير من الأعمال - هذا العمل هو رواية (الباب المفتوح) التي كتبها الدكتور لطيفة الزيات . ومواقف الرواية الجنسية تصورها الكاتبة تصورا رمزيا فرويديا . مثلا عندما تريد أن تقول أن عصام قام بممارسة الجنس مع الخادمة ، تصور لنا الخادمة وهي تظف السجادة من القهوة التي انسكبت . إلى جانب ذلك فإن مفهوم الحب عند « ليلي » يبدو طبيعيا ومنطقيا إلى حد أنه يفاجئنا - ونحن نحشو رؤوسنا بكل الانحرافات والأخطاء والمفاهيم الفجة عن الجنس - فإلى تطلب من الرجل أن يعطيه قلبه وجسده لها هي فقط ، وتطلب منه أن يحتفظ لها بجسده طاهرا نقياً . . ذلك الطهر والنقاء اللسان يطلبهما الرجل في العذراء . ومعرفة ليلي أن عصام قد صنع علاقة جنسية مع الخادمة تمزق قلبها ، وتحطم صورته في نفسها ، وتجعلها تفقد ذلك الفقدان الأسف الحزين ، بالضببط كما يفقد الرجل الفتاة التي أحبها ثم اكتشف أنها ليست بكرًا .

ولكن هذه الاختلافات مع بعض أفكار غالي شكري العديدة لا تعني أن الكاتب لم يلتزم في مجموع دراسته بمنهجه بامانة وعمق ومعاناة . ولا تعني هذه الاختلافات أن الكاتب لم يكن على وعي بان يتجنب قسر عمل على الأنصواء تحت أفكاره . ويظهر هذا من الفهم الجمالي الممتاز لمحمود البديوي القصص الذي كتب عن الجنس قصصا مبكرة في روعتها ، ومزج بين الجنس والموت ، ذلك الامتزاج الذي يمثل خطأ واضحا في الروح العربية .

وفي الحقيقة تعتبر هذه الدراسة عملا هاديا على الطريق ، ودراسة متفردة لموضوع بعد من أخطر المواضيع في أدبنا العربي . واعتقد أن من يتناول هذه الدراسة بالتعليق أو بالنقد سيقع في عدة مشاكل محيرة . فهو أولا لن يستطيع أن يتناول هذا العمل الكبير في صفحات قليلة . فقد درس غالي شكري : الفن خلال التاريخ ، وتطور مفهوم الجنس في الأدب العالمي ، ثم في القصة العربية ، في مقدمة طويلة ممتازة . ثم كتب فصولا رائعة تستحق كثيرا من النقاش عن الجنس عند : نجيب محفوظ ، يحيى حقي ، محمود البديوي ، سهيل ادريس ، احسان عبد القدوس ، عبد الحميد السحار ، يوسف ادريس ، ليلي بعلبكي ، صوفي عبدالله ، كولينت خوري .

والمشكلة الثانية التي تحير من يتناول هذه الدراسة - خاصة من كان يعد من أبناء جيل غالي شكري - أنه سيكون مضطرا أن يخفي في صدره كثيرا من الإعجاب والحماس ، حتى لا يتهمه أحد بأنه يطبل لأحد أبناء جيله ، وقد يضطر إلى أن يبدأ بنقطة الخلاف - وهي قليلة - قبل نقط الالتقاء وهي كثيرة .

وإلى جانب أن الدراسة الفت بطريقة دقيقة ومنهجية (وبذلك الأسلوب الشعاري الغريب على مجال النقد) فإنها تعالج باهتمام موضوعا أساسيا في تاريخ وحياة وأدب البشر . أن الجنس يمثل في حياة الناس جانبا خطيرا جعل فرويد يرى أنه الأساس في كل سلوك إنساني . والذين يرفضون هذا الفهم يرون أن الجنس عنصر هام في

حياة البشر ، وبه نستطيع أن نفسر كثيرا من مظاهر الحضارة . والجنس لم يصل إلى الصورة المعقدة له حاليا إلا خلال تطور طويل على مر التاريخ ، لقد أخذ اشكالا مختلفة نتيجة لاختلاف طبيعة المجتمع الذي يعيش الإنسان فيه . في البداية لم يكن الإنسان يرى داعيا للتفريق بين رجل وامرأة مهما كانت صلة القرابة بينهما . ولكن نتيجة للاضرار التي لاحظتها الأجيال في خلال الألف السنين تم التحريم بين الآباء والأبناء من ناحية وبين أولادهم وبناتهم من ناحية أخرى . وتطورت فكرة التحريم إلى التحريم بين الأخوة والأخوات ، وقد استقرت هذه المرحلة وقتا طويلا نتيجة لتقارب السن .

ومع الملكية المشاعة عرف الزواج الجماعي أي أن تكون نساء عشيرة ما زوجات لرجال عشيرة أخرى . وفي هذا النظام بدأت علاقات مزدوجة داخل نطاق الزواج المشاع ، ولكنها لم تأخذ شكل الزواج المونوجامي أو الفردي إلا عندما بدأت تعرف الملكية الخاصة .

وفي المجتمعات التي قامت على أساس النظام العبيدي أصبحت المرأة تبدو كملكية خاصة وبالذات في شكل الجوارى . وأصبح الجنس في لحظته الميكانيكية متعة في حد ذاته يهتم به « السيد » أشد الاهتمام ، ولا يلتفت أبدا إلى داخل المرأة ولا إلى مشارعها واحاسيسها نحوه .

والجنس هو رابع نوع من أنواع الجوع يحسها الإنسان ، بإفهامها الجوع إلى الطعام ، والظما إلى الشراب ، والرغبة في النوم ، « يضيف إليها أدلر شهوة القوة والسيطرة ويضيف إليها آخرون الحاجة إلى التعبير الفني » . ومن هنا تبدو أهمية الجنس كحاجة من أكثر الحاجات الإنسانية إلحاحا . ولكن الجنس من حيث كونه علاقة إنسانية اختلفت بتذوق الجمال ، وارتقى وتقدم حتى وصل إلى مستوى عال لم يستطع أن يجاريه فيه أي لون آخر من ألوان الجوع الإنساني الأربعة (والسته) . ويبلغ الجنس - في خلال تطوره مع الإنسان - درجة عالية من التعقيد حتى يصبح مجالا خطيرا أمام الفن . بل نستطيع أن نقول أنه أخطر ما تناوله الفن في مراحلها المختلفة .

ويشير المؤلف سؤالا هاما : « هل يمكن القول بأن الحرية الجنسية الحقيقية - كما عبرت عنها الآداب والفنون - لا توجد في مسورهما النموذجية إلا في المجتمع البدائي ؟ » .

ورغم أن الحرية هي أحب الكلمات وأكثرها غموضا ، فإننا لن نحاول أن نبحث وراء معناها هنا على اعتبار أن هناك مفهوما تقريبا عاما ، ولكننا نتساءل مع الكاتب : هل وجدت الحرية الجنسية أبدا؟ أن تاريخ الجنس هو مجموعة من الشذوذ والبفاء والعلاقات الجوارى وانتفاء التكافؤ في العلاقات العاطفية . وقد وصل الجنس إلى مرحلة معقدة خطيرة . أن حرية الجنس يقتلها الشكل الخاص الذي تتسلون به الحضارة المعاصرة ، ويقتلها التفاوت الاجتماعي ، ويقتلها التفاوت الفردي والوجداني ، ويقتلها اختلاف درجة حساسية البشر ومسدى شاعريتهم ، ويقتلها عجز الإنسان عن أن يفهم أخاه الإنسان .

أن الجنس الحقيقي المتكافؤ يقتل وتقتل معه كلمة د.هـ. لورنس : « ديانتى الكبرى هي الإيمان بان الدم واللحم أحكم من العقل ، فقد تخطى عقولنا ، ولكن ما تشعر به دماؤنا وتعتقده وتعبير عنه صادق دائما » أن « العقل » يسيطر الآن على العلاقات الإنسانية في أدق خصوصياتها . ولكن ليس « العقل » بمعناه الواسع الرحب ، بل الجانب الميكانيكي فيه . أن قواعد المجتمع هي التي تحدد عواطف الناس وتقيدها . ونتيجة لانحدار مفاهيم الجنس فإننا نجد أن الغالبية العظمى من البشر يمارسونه تحت المستوى الإنساني . أما ذلك المستوى الإنساني المرتفع الذي يرتبط فيه الجنس بالعاطفة في علاقة حب شاعرية رقيقة فهو يكاد ألا يكون موجودا .

ونتيجة لمرور الجنس بكل تلك المراحل المتطورة « من الشكل الحيواني إلى المستوى الإنساني المعقد الموجود الآن ، فإن الجنس قد صار مشكلة من أكثر المشاكل التي تقابل الناس الآن . . وبملا جزءا كبيرا من حياتهم وتفكيرهم . ولذلك فلا غرابة في أن نجد أن الأدب يضع الجنس في اهتمامه الأول . ولكن تختلف الزاوية التي ينظر منها الكاتب إلى

قضية الجنس ، او التي ينظر منها الاتجاه او المدرسة الادبية .

وتناول الجنس في الادب العربي الحديث امر يتطلب قدرا كبيرا من الجهد ودقة الملاحظة . لان الجنس - نتيجة لطبيعة المجتمع المفلق - أخذ شكلا منحرفا في بعض الاحيان ، وتراجع تراجعاً خداعاً الى الدرجة الثانية من الاهتمام في احيان اخرى ، واكتفى الكاتب فيه بالنميج البشر في معظم الاحيان . وكموقف مقابل لانفلاق الكاتب - الذي هو نتيجة منطقية لانفلاق المجتمع - عمد بعض الكتاب الى الثورة على الجمود والخوف من الجنس ، ففرقوا في خلق علاقات باهتة سطحية تهدف اولا واخيرا الى استشارة فئة مراهقة سنا او فترا من القراء . وقد تعرض غالي شكري لاحد هؤلاء الكتاب (احسان عبد القدوس) في فصل بعنوان (الرجل والمرأة .. واحسان ثالثهما) .

والجنس في أدبنا العربي - ويخيل الي انه في الادب كله بوجه عام - مرتبط بظاهرتين هما : الشر ، والموت . فالجنس ليس متعة بقدر ما هو ألم وعذاب ومقاساة . وفكرة ارتباط الجنس بالشر هي فكرة قديمة احتضنتها الاديان السماوية . فأصبحت الخطيئة تساوي الرجيم ، والنظرة الى المرأة تساوي الجحيم . وأصبح مفهوما ان حواء (وهي التي تمثل موضوعا للبحث بالنسبة الى آدم) هي التي أخرجت الرجل من الجنة ، وألقت به الى العالم الارضي . ولا شك ان الفكرة الدينية بعيدة عن توجيه كثير من الكتاب الذين يكتبون عن الجنس ، ولكن احساسهم الرهف بالمجتمع هو الذي يجعلهم يخلطون الشر بالجنس ذلك الخلط الحاد .

وأكمل نموذج في أدبنا على اختلاط الجنس بالالم على مستوى من التعقيد فريد في القصة العربية هو : (نفسية) فتاة (بداية ونهاية) . ونحن هنا أمام فتاة تعيش تجارب قاسية على المستوى الفردي والمستوى الاجتماعي ، فهي فتاة فيسحة ، بالنسبة لفتاة مصرية غير متعلمة وفي بيئة فقيرة يضاعف من اثره في النفس ، لان مثل هذه الفتاة يكون وجودها في البيت انتظارا للزوج . ولكن الزوج لن يقصدها الا لجمالها وربما لالها . وهي لا تملك شيئا منهما . والزوج بالنسبة لفتاة في مثل هذا الوضع هو كل مستقبلها وكل حياتها . ونفيسة تعيش محنة الاسرة التي مات عائلها ، وبقيت اسرته العاجزة : الام وهي طمعا بلا عمل ، وحسن هو شاب فاشل في دراسته ، حسنين وحسبن وهما ما زالا طالين . وحتى عندما تعمل نفيسة ، فان هذا لا يعني أي تفرج جوهري في حياتها ، لانها تعمل (خياطة) تذهب الى البيوت وتجيء اليها السيدات والبنات في البيت . ومعنى هذا انها لم تخرج الى تجربة الحياة العملية ، بل انها أخذت أسوأ ما في التجربة .

وتبحث نفيسة عن الجنس ذلك البحث الخفي غير الصريح ، وتلتقي به مع ابن البقال الذي يعدها بالزواج يأخذها الى بيته المظلم . وهناك تفقد نفيسة بكراتها . وبعد وقت تكتشف ان ابن البقال عاجز عن ان يحقق وعده بالزواج منها . وتلتقي بالرجل الثاني في حياتها ، رجل من عرض الطريق يعترضها في سيرها ويصحبها في رحلة خاراج المدينة حيث يمارس الجنس معها في السيارة . وتفاجأ نفيسة بسان الرجل يلقي اليها في النهاية بقطعة فضية .. لقد ظننا امرأة تحترف الهوى ، وتنتقل نفيسة في طريقها .. (تمثل بنفسها أفطع تمثيل) وهو التعبير الذكي الذي استعمله نجيب محفوظ ووقف عنده غالي شكري طويلاً . لقد امتزجت اللذة عند نفيسة بالالم .. لقد اختلطت رغبتهسا بانثر . وفي النهاية تموت نفيسة عندما يكتشف حسنين سرها . وهكذا تختم نفيسة تلك الرحلة البشعة في عالم الجنس التي ربما كانت تحس - منذ بدايتها - نهايتها احساسا غامضا مبهما .

وزوجة كامل رويلاط في رواية (السراب) تخون زوجها ، فينتهي مصيرها الى الموت في عملية اجهاض تمت بواسطة عشيقها الطبيب . وان كنا لا نحس بمدى ارتباط الموت والجنس في السراب ، فلان الرواية يحكيها الزوج وهو لا يدري من الامر شيئا - الا مجرد تكهنات لا يعتمد بها - ويظل غافلا حتى يدرك كل شيء في نهاية الرواية . في حين ان الكاتب يصاحبنا مع نفيسة في انحدارها درجة درجة .

وفي رواية يوسف ادريس (الحرام) نرى فكرة الالم والشر والموت مختلطة بالجنس في مستوى درامي ممتاز . وحتى لحظة الجنس التي مارسها عزيزة زوجة الرجل المريض مع محمد الكشر تعتبر من أغرب لحظات الجنس : (روعت اولا ولكنها استجمعت نفسها ودفعتها ، وناصلت ولكنها كانت ترى ان نضالها لا فائدة منه . بل ليست تدري على وجه الدقة سر هذا الانهيار الذي اصابها حين اصبحت في حضنه . تريد ان تقاوم ولا تستطيع . تستميت لكنها يائسة . تعرج فيجتمع الناس وتصبح فضيحة ومضفة في الافواه ؟ تسكت ؟ تعضه ؟ حتى ملابسها التي لا تحتمك على غيرها مزقها . كل ما حدث انها ظلت تنن مذهولة مرعوبة حتى قام . وشتمته ...) هل رأيت أشبع من ذلك ، يختلط الجنس بالالم هذا الاختلاط المعقد الغريب ، حتى لا نعود نعرف هل كانت حقاً راغبة في محمد الكشر أم لم تكن راغبة؟ وتموت عزيزة في النهاية مريضة بحمى النفاس .

ولكن الموت والجنس قضية اساسية من قضايا القصص محمود البديوي ، ان لم تكن القضية الاساسية التي تناولها في مجموعاته القصصية . وقد تناول غالي شكري هذه القضية في فصل بعنوان : (الموت والجنس في أدب البديوي) . ولقد ظل البديوي يكتب القصة القصيرة في اخلاص شديد دون ان يجد فهما ولا تقديرا من معاصريه ، حتى أتى الابداء الشبان فوضعه في مكانه الحقيقي . فكتب رجاء النقاش عنه مقالا ينصفه فيه بعنوان (القصص الشاعر) (مجلة الشهر - ١٩٥٩) ثم كتب غالي شكري هذا البحث الممتاز الذي يعتبر من أروع فصول الكتاب تمقا وشاعرية . وهو يقول عنه : (ان مأساة الوجود الانساني في أدبه تمتزج امتزاجا عميقا بقضية (الجنس) مما يجعل لهذه المأساة لونا خاصا يتفرد به البديوي بين كتّاب القصة الحديثة على الاطلاق . فهو لم يقصد الى معالجة العلاقة الجنسية بين البشر في ذاتها ، وانما كتجسيد مباشر لقضية القضايا في حياة الانسان : المصري » . (ص ١٤١)

والجنس عند البديوي له سمات خاصة . فهو رغم انه يهيء للخطة الميكانيكية في الجنس الا انه يتخطاها بسرعة . وبعض الكتاب يتخطون هذه اللحظة لكي يتركوا لخيال القارئ تكلمة ما يتركونه من فراغ يمتليء احيانا بسطور كلها نقط . ولكن البديوي يخلص سريعا من هذه اللحظة ، انها لا تهمه كثيرا ، وهو لا يريد من القارئ ان يتخيل شيئا وراء مجرد الالتقاء . والجنس - قبل ان يرتبط بالموت - ليس جنسا سويسا طبيعيا . فهناك في كثير من ابطاله لون من المعجز عن ممارسة الحب عامة والجنس بالذات . وهو احيانا يؤكد هذا المعجز بان يخلص من بطله شخصا حزيرا ، او به عاهة ما . ولكن المعجز ليس دائما عجزا جسديا ، انه احيانا عجز نفسي . فهو يهيء لحظة الجنس ، ولكنه يشد بطله قبل لحظة البداية بخيوط الى الوراء (أقول بطله لان النساء عند البديوي في غالب أمرهن يتقبلن الجنس دون مقاومة حقيقية) .

والبديوي احد الكتاب الذين يمثلون التقاء الشرق والغرب وهو الموضوع الذي عالجه غالي شكري تحت عنوان : (العرب في الحي اللاتيني) متحدثا عن رواية الدكتور سهيل ادريس . فالبديوي كثير الرحلات الى الخارج ، وبالتالي يضع أبطاله امام فتيات اجنبيات . ولكن البديوي يظل ذلك الفتى المندهش امام فتيات الغرب ، السني لا يقابل الا تلك الصورة التي تقابل الاجانب : فتيات الليل ، والمغامرات . ولكن البديوي يمثل لونا آخر من لقاء العربي بالخارج ، وهو لقاء الشاب العربي بفتيات من الشرق الأقصى : في اليابان ، وهونج كونج ، والصين الخ . . . ولكن صورة الفتاة في هذه الاماكن لا تتفرج كثيرا عن صورتها في الغرب ، لانه لا يلتقي - غالبا - الا بقطط الليل او بالفتيات المغامرات . واعتقد ان التقاء رجل الشرق بامرأة الغرب أمر يستحق دراسة اطول ، لان رواية الدكتور سهيل ادريس تمثل مرحلة من فهم الرجل الشرقي للمرأة الغربية ، تسبقها مراحل (احداها لا شك عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم) . وهناك قصة تمثل هذا الالتقاء تمثيلا واضحا ، لان الذي دفع الى تصويرها له (معادلة ادريسية) كما يسميها الناقد .

مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية

بقلم محمد صبيح .

{ ٨٠ } صفحة من القطع الكبير . مطبعة التعاون

عندما تلقيت كتاب (مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية) للاستاذ محمد صبيح ، هذا الكتاب الضخم الذي يبلغ { ٨٠ } صفحة من القطع الكبير ، ذهب بي خاطر الى العمل الادبي الذي قام به هذا الكاتب منذ ربع قرن في ميدان الثقافة والتاريخ ودراسة الاعلام وتقديم خلاصات رائعة لمختلف معالم الفكر يستهدف بها ما اسماء في اول كتاب اصدره من سلسلة كتاب الشهر في (يناير ١٩٢٧) (رفع المستوى الثقافي العام للمثقفين المصريين وغيرهم من قراء العربية في اقطارها فنقرب لهم ما ابتعد عنهم من صور التفكير العام في شتى شؤون المعرفة في اسلوب مقبول يرضي المثقفين ولا يسخط العلماء المتخصصين) . وقد كان محمد صبيح حريصا على ان يقدم للقراء بطولات الاعلام من حكام العالم اذ ذلك ، غير انه لم يلبث ان التفت الى بطولات اعلام الاسلام فاصدر سلسلة قادة الاسلام عام ١٩٢٨ وقال في صدها (لقد تدبرت هذه المرحلة من عملنا الثقافي فوجدت ان ابطالنا الجدد ، هم محمد عليه السلام واصحابه واتباعه .

.. هؤلاء الرجال العظام اكرم علينا من ان نمر بحياتهم مرا خفيفا فنطفو على السطح ولا نصل الى اعماق الغور . انهم ابطالنا نحن . انهم قطعة من حياتنا . من تاريخنا . استغفر الله بل هم قمة الانسانية في جميع عصورها واطوار تاريخها .

ثم يصل الى هدفه الثقافي في بناء شخصية الاممة فيقول (ان نحن استنطقنا ان نصل بين هذا القديم الذي باعدت بيننا وبينه القرون وبين مثلنا التي نشرها في حاضرنا ، نكون اذن قد وقفنا الى شيء كثير) واليوم اجد الرابطة القوية الواضحة بين هذا العمل الذي بداه محمد صبيح منذ ربع قرن وبين هذا العمل الضخم الذي يقدمه لنا اليوم ، حيث يرسم لنا صورة واضحة للطريق الطويل للقومية العربية في مراحل خمس هي :

اليلاد . الشباب . المتاعب . النوم . اليقظة .

حيث يروي قصة التاريخ الماجد الذي عاشته الامة العربية في خلال اكثر من الف وثلاثمائة وثمانين عاما بين كفاح البناء والاتساع والانشاء وصراع الخصومات ومقاومة الحملات ودفع العدوان : ضد التتار والصليبيين والاستعمار الغربي .

ولا شك ان (القومية العربية) وهي تعيش عصر تفتحها وتجارب تحققها وقيام الوحدة الاولى بين مصر وسوريا وتوقيع ميثاق الوحدة بين مصر وسوريا والعراق وارتفاع الصوت المدوي في مختلف انحاء العالم العربي من الدار البيضاء الى البصرة بالالتقاء بين الاجزاء التي مزقتها الاستعمار ، كل هذا جدير بان يعنى الباحثون بدراسته ودراسة مفومات هذه القومية وتاريخها وتطورها وعوامل التجمع والتمسك واسباب الصراع ومعارك المقاومة ، حتى يكشف الطريق ، ولذلك فقد عني الكتاب باعداد دراسات متعددة في هذا المجال ، غير ان الاستاذ صبيح قد اختار طريق الدراسة التاريخية الشاملة ، تعينه على ذلك خبرة قديمة ومادة خصبة واسلوب ظلي رائع وقدرة على اعطاء التاريخ طرافة القصة مع الاحتفاظ بالحقيقة التاريخية .

وفي خلال المراحل الاربعة التي ضمها هذا الجزء الضخم نجدنا في حاجة الى ان نقرأ كل كلمة ، فالكاتب حريص على ان يكشف كل التفاصيل مستعينا بمئات من المراجع والابحاث العربية والغربية في سبيل رسم الصورة . ولن يقلل من اهمية هذه الدراسة انها القيت كمحاضرات على طلبة معهد التعاون في القومية العربية فهي قد اعدت بحيث تغطي حاجة المثقف والقاريء الوسط بالإضافة الى الطلاب الذين استمهموا اليها او درسوها للامتحان فيها وقد سجل المؤلف الرابطة الواضحة في خطته الفكرية منذ عمله الاول الى عمله الجديد . فقال :

فهناك قصة ليوسف ادريس (مجموعة العسكري الاسود) باسم (السيدة فيينا) تمثل هذا الالتقاء في مرحلة معاصرة . فالرجل الشرقي لم يعد ذلك النمط القديم الذي يخرج الى اوربا باثرها مبهورا محروما من الاحاسيس العاطفية على المستوى الانساني ، المحروم من الجنس على مستوى الاخذ والعطاء . بل اصبح نمطا آخر مختلفا . ولكن رغم ان النمط اختلف في اعمافه الا انه ما زال وارثا للفكرة القديمة عسنت النقاء الرجل الشرقي الاسمر للمرأة الاوروبية البيضاء . ويظل الشاب بطل القصة وقتنا طويلا في فيينا دون ان يتعرف بامرأة ما . ويحزنه هذا فكيف يعود الى بلده دون مفامرة ما مع امرأة اوروبية . ويلتقي بسيدة عادية في الطريق ، عائدة الى بيتها في احدى الضواحي . ويطاردها مطاردة طويلة مثيرة ، تنتهي بان تستضيفه المرأة عندها وتقول له ان زوجها ليس موجودا في البيت . ولكن في حجرة النوم تنبخر تلك الصورة التي رسمتها حكايات العائدين من اوربا ، وكتابات الادباء المثيرة ، ويتخيل زوجته في القاهرة ، وعندها تفض عينها هي ايضا وتتخيل زوجها ، متناسبة هذا الامر الشرقي الاتي من بعيد ! ان قصة يوسف ادريس هذه هي آخر حلقة في مجموعة مراحل لقاء الرجل الشرقي بالمرأة الغربية ولكن غالي شكري لم يتناولها في الفصل الخاص بيوسف ادريس رغم اهميتها بالنسبة الى قضية الجنس في الادب العربي وبالنسبة للجنس عند يوسف ادريس .

ولكنني اعتقد ان غالي شكري لم يكن مطالباً في هذه الدراسة باستقصاء كل عمل ادبي . ومنذ البداية فنحن نفترض انه سيتخطى اعمالا ربما كانت على جانب من الاهمية . لانه في مقابل ذلك يعطينا دراسة هامة واعية لموضوع من اخطر الموضوعات التي تمس حياة الانسان بوجه عام والادب بوجه خاص . ومهما كانت هناك من اخطاء صغيرة أو مهما اختلفنا معه في بعض آرائه ، فلا شك انه قد اثار بعمله الجاد هذا الطريق امام الكتاب موضوع الدراسة ، وامام النقاد حينما فتح امامهم نافذة واسعة على رؤية أدبنا المعاصر ، وامام القراء العرب الذين (فوجئوا) بمثل هذه الدراسة في ادهم !

محفوظ عبد الرحمن

القاهرة

في المكتبات

انا وسارتر والحياة

بقلم سيمون دوبوفوار

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة قصتها مع الرجل الذي كان شريك حياتها ، من غير ان يكون زوجها ، جان بول سارتر . وهي من خلال ذلك تقص تلك المفامرة التي ادت الى انتصارها : كيف اصبحت كاتبة الى جانبه . وكيف كانا وما يسزالن يواجهان الحياة .

قصة رائعة ، عميقة ، نابضة بالحياة

منشورات دار الآداب - بيروت

الثمن اربع ليرات لبنانية او ما يعادلها

لعالم العربي متطلعا الى البطولات ناظرا الى حركات اوروبا فسي ظل الفاشية والنازية والشيوعية . ثم ما كان من تلفت الشرق الى نفسه واتخاذة تجديد الحديث عن ابطال الاسلام وسيلة لبناء حاضره ومستقبله .

ثم كان السجن الذي امضى فيه سنوات الحرب يعيد الاثر فسي اتجاهه الفكري حيث استطاع ان يزيد حصيلته بقراءة عشرات من الكتب الضخمة القديمة والحديثة . واستخلص رايه الجديد بان الثقافة العربية يجب ان يتسع نطاقها فشمل الميادين المتعددة وتفتح النوافذ للثقافات الغربية وقد استطاع بعد الحرب ان يعد برنامجا فكريا في هذا الاتجاه ظهرت منه كتبه عن روسيا وتشرشل والنيل وقد كان هذا التطور في تفكير الكاتب تطورا فعليا في مجال الفكر العربي نفسه في هذه الفترة .

ثم شغل صبيح سنوات طويلة بالعمل في مجال الاصلاح الزراعي، ودراسات الاقطاع والارض والتوزيع ، وقد انقطع خلال هذه الفترة التي بلغت عشر سنوات عن مجاله الفكري القديم ، وان ظل يواصل الكتابة في الصحف جاريا مع التطور والاحداث ، حتى فاجأ القراء بكتابه « مواقف حاسمة من تاريخ القومية العربية »

وقد عاش محمد صبيح حياة فكرية خصبة شارك فيها مشاركة ايجابية في النهضة السياسية والاجتماعية في مجالات مصر الفتاه ومشروع القرض ومصنع الطرايش والاصلاح الزراعي . ولم يقتصر عمله على هذه المؤلفات الضخمة ، بل انه ساهم في تحرير وانشاء عديد من المجلات والصحف : كالصرخة ومصر الفتاه ونداء الحرية . كما حرر في صحف اخبار اليوم والاساس ومجلتي الاسبوع والتحرير وجريدتي القاهرة والجمهورية .

وهو اليوم يرأس تحرير صحف دار التعاون حيث يعمل في ميدان جديد يظهر لأول مرة في مجال الصحافة العربية ، وهي الصحافة المختصة . ويشرف على صحف ثلاث : هي المجلة الزراعية وتعاون الثلاثاء وهما متخصصتان في شؤون الزراعة والريف والتعاون والفلاحين وصحيفة التعاون الاحد وهي مخصصة في شؤون الاسرة والتمويل والتعاون الاستهلاكي والبيت والمرأة .

وهو صحفي ومؤلف وكاتب سناريو يكتب المقالات السياسية والادبية والاجتماعية والبحث التاريخي وفن التراجم وقد اغنى المكتبة العربية بعشرات من المؤلفات وما زلنا نطالبه باتمام الدراسات المختلفة والتراجم المتعددة التي اعلن عنها ولم يتمها بعد .

أنور الجندي

القاهرة

في الاسواق

عينك قدرتي

قصص

بقلم غادة السمان

منشورات دار الاداب

الثنى ٣ ل.ل

(في خلال ثلاثين سنة او نحوها ، كتبت والفت الكثير عن حياة الامة العربية في ماضيها وحاضرها . وكنت ولا زلت تلميذا يواصل الدرس والاطلاع ، ويجد في كل يوم جديدا يضيفه الى علمه . واشتغالي بالحركة الوطنية منذ فجر الشباب اناح لي اكثر من فرصة لكي اربط بين الاحداث . واجد لحاضرنا كثيرا من الاصول القديمة التي تربطها .) ولا شك ان محمد صبيح قد عاش تاريخا عريضا في ميدان التأليف له طابعه الواضح المميز في ميدانين يكمل كل منهما الاخر :

(الاول) : ميدان تراجم الاعلام :

وقد عرض فيه لعديد من الشخصيات : شرقية وغربية ، اسلامية وعصرية اهمها : النبي محمد . ابو بكر . عمر . عثمان . علي . معاوية . خالد . عمرو بن العاص طارق . عمر بن عبد العزيز . هتلر . ستالين . الميكادو . اتانورك . تشرشل . محمد عبده . وقد اعلن عن دراسات اخرى لم تظهر بعد عن المهدي ومصطفى كامل وسعد زغلول وعبد القادر الجزائري وعن الكريم الخطابي والمثنى بن حارثة وابي عبيده . وفي ميدان التراجم لم يكتب لنا طريقة في الكتابة واي مذهب اختار من مذاهب الترجمة للاعلام ، ولكنه على أي حال يميل الى طريقة (اميل لدوفيج) حيث يرسم الشخصية من خلال قصة نابضة بالحياة ترسم صورة مجتمع البطل وحياته وظروفه ، ولكنه يحتفظ بالحدود التاريخية واضحة في دراسته للشخصية دون ان يسمح للقصة او الرواية او الجو الفني ان يطغى على الحقائق المعززة .

وهو بذلك يجمع بين ميزتي الاحتماء بالحقيقة التاريخية في ظل الصورة الادبية القصصية .

وبهذا يضع لينة في بناء فن (تاديب التاريخ) الذي ظهر في هذه الفترة لأول مرة في ادبنا العربي المعاصر . وهو في عرضه يجنح الى اسلوب التحليل ويعالج القضايا الفكرية والاجتماعية في دقة ويسر . دون ان يطغى على مجريات القصة من الناحية الفنية .

(الثاني) : ميدان الدراسات المرتبطة بالتاريخ الحي وبناء الامم . ومن هذا دراساته عن القران والنيل وروسيا والسودان . وكان قد اعلن عن دراسات لم تظهر بعد عن قناة السويس والازهر وتركيا والهند والعراق وايران والافغان وجريدة التيمس وجامع كمبودج وغيرها .

وهو في هذه الدراسات حريص على نفس النسق القصصي المشوق يتخذه وعاء لافكاره واطارا للحقائق المادية الجافة فيجعلها يسيرة سهلة مستساغة .

ولا شك ان طابع (التحليل) والوصول الى القاري هو الاتجاه الغالب على الكاتب . ولعل استقلاله بالصحافة هو الذي يسر له هذا الاسلوب البسيط الانيق . وهذه الرغبة في جذب القاري اليه وتبسيط الدراسات التاريخية والعلمية الجافة ، كما فعل في كتاب النيل الذي وصفه بأنه ليس كتاب جغرافيا ، والذي استطاع ان يقدم فيه كل المعلومات الجغرافية والتاريخية على نحو مشوق رائع .

هذا فضلا عن حرصه على كشف الجوانب الخفية التي تحامها الكتاب في فترة ما فكتب عن ستالين عام ١٩٣٧ وعن روسيا ١٩٤٧ ولم يكن في مقدور كثير من الكتاب رسم صورة لهذا الجانب الذي كان الاستعمار يخوفنا من الاقتراب منه .

وهو في كل انتاجه حريص على امداد القاري العربي بمعلومات جديدة ، ناظرا الى شباب الامة العربية جميعا لا الى مصر وحدها ، وهم اقرب في دراساته الى الاسلوب الصحفي الاستطلاعي منه الى الاسلوب العلمي الاكاديمي ، وبالجملة فهو في كل كتاباته يتخذ طابع الكاتب الهادف الذي يريد ان يقدم لابناء امته ثروة فكرية لاغنائها ، ولفت نظرها الى البطولات التي صنعت التاريخ في كل مكان وعصر ..

وقد مر انتاج « محمد صبيح » في ثلاث مراحل : الاولى : قبل الحرب العالمية الثانية حيث كان احد اقطاب مصر الفتاه وكان عمله الادبي يمثل جانبا من الاتجاه الفكري الذي عاشه